عندما أطلق التونسيون إشارة البداية لأحداث 11 أيلول/سبتمبر

بواسطة هارون ي. زيلين (/ar/experts/harwn-y-zylyn-0)

سبتمبر
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/when-tunisians-fired-start-gun-911)

عن المؤلفين

هارون ي. زيلين (/ar/experts/harwn-y-zylyn-0)

هارون ي. زيلين هو زميل "ريتشارد بورو" في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى حيث يتركز بحثه على الجماعات الجهادية العربية السنية في شمال أفريقيا وسوريا. وعلى نزعة المقاتلين الأجانب والجهادية الإلكترونية عبر الإنترنت.

تحليل موجز

جاء مقتل أحمد شاه مسعود في التاسع من أيلول/سبتمبر 2001 كهدية قدّمتها "الجماعة التونسية المقاتلة" وتنظيم «القاعدة» إلى حركة "طالبان" لقاء محاربة عدوّهم المحلي وكإشارة علنية أيضاً على شنّ هجمات 11 أيلول/سبتمبر. وبعد إعلان "طالبان" النصر على قوات المقاومة التي يقودها أحمد نجل مسعود في وادي بانشير فمن المؤكد أن يحاول تنظيم «القاعدة» والجماعات التابعة له استغلال أفغانستان كما فعلوا قبل عشرين عاماً.

قبل عشرين عاماً في التاسع من أيلول/سبتمبر عام 2001 ساعد التونسيون في اغتيال زعيم "التحالف الشمالي" الأفغاني أحمد شاه مسعود قبل يومين من وقوع هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. وفي أواخر التسعينيات كان مسعود حليفاً رئيسياً للولايات المتحدة ضد تقدم حركة "طالبان" وعلى الرغم من أن حظوظه قد تغيرت بشكل كبير بحلول عام 2001 إلا أن واشنطن كانت ستعتمد عليه بشدة من دون شك خلال الغزو الذي أعقب أحداث 11 أيلول/سبتمبر لو بقي على قيد الحياة. إذا تخطّينا تلك السنوات إلى الأسبوع الحالي فإن لحظة إعلان "طالبان" النصر على قوات المقاومة التي يقودها أحمد نجل مسعود في وادي بانشير هي نهاية مؤلمة للمعركة التي تخوضها الحركة ضد "التحالف الشمالي" منذ عقدين.

ومع ذلك فإن الدور التونسي الكبير والظروف الأخرى التي أحاطت بعملية الاغتيال عام 2001 تستحق نظرة فاحصة ليس فقط لتأثيرها على التطورات اللاحقة التي حصلت على الحركة الجهادية العالمية بل أيضاً بسبب التداعيات التي تحملها الآن حيث أصبحت (https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/wdt-amart-afghanstan-alaslamyt-alhalt-aljhadyt-alrahnt) أفغانستان مجدداً تحت سيطرة طالبان (https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/wdt-amart-afghanstan-alaslamyt-alhalt-aljhadyt-alrahnt). وخدم مقتل مسعود غايات متعددة بعضها لم يكن واضحاً تماماً إلّا بعد وقوع حادث القتل: فقد جاء مقتله كهدية قدّمتها "الجماعة التونسية المقاتلة" وتنظيم «القاعدة» إلى "طالبان" لقاء محاربة عدوّهم المحلي وكإشارة علنية أيضاً على شنّ هجمات 11 أيلول/سبتمبر وجزءاً مهماً من استعدادات تنظيم «القاعدة» لغزو التحالف لأفغانستان. وفيما يلي قصة الاغتيال ومَن كان وراءها ولماذا لا تزال مهمة للذين يحاولون فهم كيفية تغيّر الشبكات الجهادية بمرور الوقت - وما نوع العملاء الذين قد يعودون اليوم إلى أفغانستان.

تطوّر الروابط التونسية مع تنظيم «القاعدة»

تم تأسيس "الجماعة التونسية المقاتلة" في حزيران/يونيو 2000 من قبل أبو عياض التونسي وطارق معروفي وهما شخصيتان رئيسيتان في جهاز المغتربين العرب الذي أُنشئ لمساندة حركة الجهاد العالمية في أوروبا. وكان الجهاديون التونسيون متمركزين بشكل أساسي في ميلانو وباريس وبروكسل ولندن وكانوا معروفين بتزوير الوثائق. وسبق للكثير منهم أيضاً أن حاربوا كمقاتلين أجانب في أفغانستان والجزائر والبوسنة وبدرجة أقل في الشيشان.

وخلال الثمانينيات وصف المنظّر الجهادي أبو مصعب السوري التونسيين المتواجدين في أفغانستان بأنهم "جماعة مبعثرة صورتها أقل من أن تكون مثالية" بسبب الاقتتال الداخلي المتكرر وعدم التنظيم وانعدام التماسك في صفوفها ولكن بحلول التسعينيات كانت العناصر التونسية تعمل بشكل أساسي كوسيطة في شبكات التسهيل الجهادية وذات خبرة كافية لتجنب الخلافات الداخلية والتعاون بشكل فعال مع جماعات متعددة. وبحلول عام 2001 كانت "الجماعة التونسية المقاتلة" الناشئة مستعدّة لمساعدة تنظيم «القاعدة» في اغتيال مسعود والمؤامرات الأخرى وكذلك التخطيط لعمليات خارجية في أوروبا.

"الجماعة التونسية المقاتلة" مقتل مسعود وهجمات 11 أيلول/سبتمبر

في مطلع عام 2000 وصل أبو عياض إلى أفغانستان بعد أن استقر في لندن منذ عام 1994 ودرس تحت إشراف المنظر الجهادي أبو قتادة الفلسطيني. وحين أسس "الجماعة التونسية المقاتلة" في شهر حزيران/يونيو من ذلك العام كانت "الجماعة" تضم عشرين عضواً على الأقل. وكان أبو عياض مسؤولاً عن بيت الضيافة التونسي في جلال آباد بينما كان شريكه المؤسس معروفي مقيماً في بروكسيل وركز بشكل أساسي على التخطيط للعمليات الإرهابية والإشراف على التسهيلات والشبكات اللوجستية في الخارج.

وقد شغل ما لا يقل عن ثلاثة أعضاء آخرين مناصب في المجلس الاستشاري لـ "الجماعة التونسية المقاتلة" وهم: لطفي بن علي وعادل بن أحمد بن ابراهيم حكيمي ومحمد بن رياض نصري. وكان حكيمي نائب أبو عياض في أفغانستان وأشرف على الاتصالات وجهود التجنيد. كما تولى قيادة "كهف تونس" خلال "معركة تورا بورا" في كانون الأول/ديسمبر 2001 بينما كان نصري القائد العسكري الأعلى لـ "الجماعة التونسية المقاتلة" داخل أفغانستان ومن بين كبار الأعضاء الآخرين عبد بن محمد بن أبيس العورجي رئيس الشؤون المالية في "الجماعة".

وفي أوروبا كان سامي بن خميس بن صالح الصيد عضواً في شبكة معروفي في ميلانو بينما شغل كمال بن موسى دوراً مماثلاً في لندن. وقد انخرطت هذه الشبكة في عدة مؤامرات إرهابية فاشلة في القارة الأوروبية استهدفت "سوق عيد الميلاد" في ستراسبورغ في كانون الأول/ديسمبر 2000 و"البرلمان الأوروبي" في شباط/فبراير 2001 والسفارة الأمريكية في باريس في تموز/يوليو 2001 و"قاعدة كلاين بروغل الجوية" البلجيكية في أيلول/سبتمبر 2001 و "برج فيليبس" في بروكسل في شباط/فبراير 2003.

وبحلول الوقت الذي وقعت فيه أحداث 11 أيلول/سبتمبر كان أبو عياض قد أصبح أحد كبار مساعدي أسامة بن لادن. ووفقاً لمقابلة أجريت في عام 2016 فحين التقى معروفي ببن لادن وأيمن الظواهري الذي أصبح في النهاية زعيم تنظيم «القاعدة» في أفغانستان في عام 2000 رأى في هذا اللقاء "فرصة مثالية للحصول على موطئ قدم داخل التنظيم". إن واقع قيام بن لادن بإسناد عملية اغتيال مسعود إلى "الجماعة التونسية المقاتلة" في هذا الوقت من المرجح أن يعكس أهمية أبو عياض.

وتم تنفيذ العملية بالاشتراك مع القائد العسكري في تنظيم «القاعدة» محمد عاطف. ووفقاً لمصطفى حامد الذي هو أحد المطلعين على شبكات المقاتلين الأجانب الذين يطلق عليهم جماعياً اسم "العرب الأفغان" كانت "الجماعة التونسية المقاتلة" تخطط لعملية الاغتيال مع تنظيم «القاعدة» لفترة دامت أكثر من عام. فقد انتحل العميلان التونسيان دحمان عبد الستار وبراوي العوير صفة صحافيين مهتمّين بإجراء مقابلة مع مسعود وزرعا قنبلة في آلة تصوير (كاميرا) سرقاها من شبكة تلفزيونية فرنسية ثم فجّراها بالقرب منه - ووفقاً لبعض التقارير فجّرا القنبلة مباشرة بعد أن سأله: "أيها القائد ما الذي تنوي فعله بأسامة بن لادن بعد أن تكون قد سيطرت على أفغانستان "

في مذكرات الزوجة الثانية لعبد الستار مليكة العرود المعنونة "ليه سولدا دو لوميير" ("جنود النور") أوجزت مليكة الرابط بين مكونات "الجماعة التونسية المقاتلة" في أفغانستان وأوروبا. وأوضحت أن زوجها درس "المنهج" مع أبو قتادة في لندن في الفترة أيار/مايو - آب/أغسطس 2000 قبل سفره من بروكسل إلى أفغانستان. وأثناء وجوده في بريطانيا حصل على رسالة تعريف لمقابلة مسعود من ياسر السري عضو منفي من "الجماعة الإسلامية" الجهادية المصرية. وفي وقت لاحق عند تقدمهما بطلب الحصول على تأشيرات صحفية في باكستان استلم عبد الستار والعوير جوازات سفر مسروقة من معروفي الذي كان قد حصل عليها من العميل المقيم في ميلانو فضل السعدي (الذي يتبع شبكة سامي بن خميس بن صالح الصيد المذكورة أعلاه).

بالإضافة إلى ذلك وعلى الرغم من أن العملاء التونسيين لم يكونوا ضمن الأشخاص الذين اختطفوا الطائرات في 11 أيلول/سبتمبر إلّا أن بعض التقارير أفادت بأن العديد منهم كانوا متورطين في المؤامرة أو على علم بها. ووفقاً لنصري وشخصيات أخرى كان اغتيال مسعود بمثابة إشارة متعمدة للخاطفين لبدء الهجمات في الولايات المتحدة. وفي مكان آخر قضت المحاكم الإسبانية بأن العميل التونسي هادي بن يوسف بوذيبة قدّم مساعدة لوجستية/مالية ووثائق مزورة لمختطفي الطائرات في 11 أيلول/سبتمبر أثناء تواجدهم في إسبانيا وألمانيا وغادر لاحقاً هامبورغ إلى اسطنبول قبل أيام فقط من وقوع الهجمات ليرتبط على الأرجح بشبكات تنظيم «القاعدة» المتمركزة في تركيا والتي أصبحت مركزاً لوجستياً وتسهيلاً مهماً للجهاديين التونسيين في السنوات اللاحقة.

ولا تزال إحدى القضايا ذات الصلة بأحداث 11 أيلول/سبتمبر مفتوحة - وهي قضية الكندي التونسي عبد الرؤوف جدي الذي كان في البداية من بين 29 "متأهلاً نهائياً" لتنفيذ المؤامرة حتى أنه أعدّ رسالة استشهادية مصوّرة وتدرّب على جهاز محاكاة الطيران "بلادي ستيشن"أثناء إقامته مع خالد شيخ محمد ومحمد عطا وشخصيات أخرى من تنظيم «القاعدة» في كراتشي باكستان في ذلك الصيف ويُعتقد أنه انسحب من العملية عند سفره إلى كندا في وقت ما قبل الهجمات ووفقاً لـ "لجنة الحادي عشر من أيلول/سبتمبر" فقد كلفه تنظيم «القاعدة»بـ "الموجة الثانية" من الهجمات المماثلة الذي كان يأمل في تنفيذها فيما بعد ولا يزال جدي على قائمة أكثر الأشخاص المطلوبين لـ "مكتب التحقيقات الفيدرالي" للمزيد من الاستجواب ولا يُعرف سوى القليل عما حدث له بعد مغادرته أفغانستان.

التداعيات السياسية

في وقت اغتيال مسعود لم يلق واقع انخراط شبكة تونسية الكثير من الاهتمام. ومع ذلك تُظهر أعمال أبو عياض قبل أحداث 11 أيلول/سبتمبر - وبصورة جوهرية بعدها - لماذا تستحق مثل هذه التفاصيل تمحيصاً وثيقاً وطويل الأمد.

في الأسابيع التي أعقبتلهجوم على الولايات المتحدة حارب أبو عياض "التحالف الشمالي" قبل فراره إلى باكستان ومن ثم إلى تركيا وهناك في الوقت الذي كان فيه العالم يركز على الحرب ضد "طالبان" وقوات تنظيم «القاعدة» في أفغانستان كان هو وعملاء آخرون يساعدون في التخطيط لتفجيرات الدار البيضاء الدموية عام 2003 والمراحل الأولية لتفجيرات قطارات مدريد عام 2004 وحتى بعد اعتقاله في تركيا في آذار/مارس 2003 وتسليمه إلى تونس واصل إنشاء الشبكات الجهادية من زنزانته في السجن. وحالما أُطلق سراحه مع سجناء آخرين بعد ثورة عام 2011 أسس الجماعة الجهادية «أنصار الشريعة في تونس» وساعد على تجنيد المقاتلين الأجانب من بلاده - الذي كان عددهم كبيراً بشكل غير متناسب **(https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/your-sons-are-your-service-tunisias-missionaries-roportionately%20large&utm_campaign=When%20Tunisians%20Fired%20the%20Start%20Gun%20for%209%2F11%20%28PolicyWatch%203530%29&utm_content=email&utm_source=Act-On+Software&utm_medium=email&cm_mmc=Act-On%20Software-_-email-_-When%20Tunisians%20Fir)** - إلى مناطق الصراع في العراق وليبيا وسوريا.

هذه هي طبيعة الشبكات الجهادية: أبو عياض هو من الأتباع غير المعروفين بصورة جيدة فيما يتعلق بأحداث 11 أيلول/ سبتمبر وحتى كان مسجوناً لسنوات في مرحلة ما لكنه استمر في لعب دور رئيسي في الهجمات الإرهابية البارزة وتجنيد المقاتلين في العقود اللاحقة ولهذا السبب يجب على واشنطن وحلفائها مواصلة السعي لاكتساب فهم أعمق للشبكات الجهادية والجماعات الفردية والمؤامرات لأن كشف العملاء الكبار أمثال أبو عياض وتعقّبهم وإضعافهم قد يسهم في إعاقة الهجمات المستقبلية وتدفق المقاتلين الأجانب وإلا فالأفراد والشبكات الذين بدوا تابعين في عقد واحد من الزمن قد يصبحون لاحقاً مؤثرين محليين مهمين يؤدّون إلى تفاقم النزاعات في بلدان متعددة.

ومن المؤكد أن يحاول تنظيم «القاعدة» والجماعات التابعة له استغلال أفغانستان كما فعلوا قبل عشرين عاماً يبقى أن نرى ما إذا كان بإمكانهم النجاح مرة أخرى بيد ستزداد حظوظهم إذا ما تمكّن "رواد الأعمال" الجهاديون الفرديون من تنفيذ عملياتهم بفعالية وإنشاء شبكات عابرة للأوطان في الخفاء

هارون زيلينهو زميل "ريتشارد بورو" في معهد واشنطن وباحث زائر في "جامعة برانديز". ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Iran Takes Next Steps on Rocket Technology

/ /

◆

Farzin Nadimi

(/policy-analysis/iran-takes-next-steps-rocket-technology)

BRIEF ANALYSIS

Saudi Arabia Adjusts Its History, Diminishing the Role of Wahhabism

/ /

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/saudi-arabia-adjusts-its-history-diminishing-role-wahhabism)

BRIEF ANALYSIS

Targeting the Islamic State: Jihadist Military Threats and the U.S. Response

February 16, 2022, starting at 12:00 p.m. EST (1700 GMT)

◆

Ido Levy ,

Craig Whiteside

(/policy-analysis/targeting-islamic-state-jihadist-military-threats-and-us-response)

TOPICS

الشؤون العسكرية والأمنية **(/ar/policy-analysis/alshwwn-alskryt-walamnyt)** الإرهاب **(/ar/policy-analysis/alarhab)**

المناطق والبلدان